

نزول القرآن الكريم وتاريخه وما يتعلق به

إعداد

الدكتور محمد عمر حويه

مدير مركز الدراسات القرآنية

بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

الخطة

(أ) من مقتضيات النزول.

(ب) التعريف بالقرآن الكريم وأنه المعجزة العظمى للنبي ﷺ وقد تحدى القرآن الكريم بأساليب متنوعة وكونه معجزاً بألفاظه ومعانيه، وأن الناس لم يُصِرّفوا عنه، ورد قول من قال بالصرفة.

(ج) التعريف بعلوم القرآن الكريم فناً مستقلاً ومتى ظهر هذا الاصطلاح؟

(د) نزول القرآن الكريم.

١ - متى بدأ النزول، وكم كانت مدة النزول.

٢ - ما المراد بالنزول، وكيف كان يتلقى جبريل الوحي من الله.

٣ - وكم نزولاً للقرآن.

٤ - كيف كان يتلقى النبي ﷺ الوحي من جبريل عليه السلام.

- ٥ - هل نزل شيء من القرآن على النبي ﷺ إلهاماً أو مناماً؟
- ٦ - نزول القرآن جملة إلى سماء الدنيا.
- ٧ - نزول القرآن مفرقاً.
- ٨ - حكم التدرج في النزول.
- ٩ - نزول القرآن على سبعة أحرف.
- أ - أرحح الأقوال في معناها.
- ب - الحكمة في كونه نزل على سبعة أحرف.
- ١٠ - أسباب النزول
- أ - تعريف السبب.
- ب - العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
- ١١ - أول ما نزل من القرآن الكريم.
- أ - أوائل مطلقة.
- ب - أوائل مقيدة.
- ١٢ - آخر ما نزل من القرآن الكريم.
- ١ - أوآخر مطلقة.
- ٢ - أوآخر مقيدة.
- ١٣ - ما يترتب على معرفة أول منازل، وآخر ما نزل من الأحكام والفوائد.
- ١٤ - الخاتمة وفيها بعض النتائج التي توصل إليها الباحث، واقتراح يقترحه.
- ١٥ - فهرس الآيات

- ١٦ - فهرس الأحاديث
١٧ - فهرس المراجع
١٨ - فهرس الموضوعات

المقدمة: من مقتضيات النزول

إن ما يسمى بعلوم القرآن الكريم مندرج تحت نزول القرآن الكريم ولازم له، وعليه فلا بد من الإلمام في الأسطر التالية بالأمور التالية إجمالاً من غير تفصيل في الدقائق، فذلك شأن الموضوعات الخاصة بالنزول الذي هو موضوع البحث.

اعلم أن الأمة اعنتت بنص القرآن الكريم وحفظه وعلى رأس الأمة نبينا محمد ﷺ فقد بلغ من عنايته بالقرآن الكريم وحرصه على حفظه أن كان يعاجل جبريل حين يقرئه القرآن حتى أنزل الله عليه ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به. إن علينا جمعه وقرآنه. فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم إن علينا بيانه﴾ (القيامة : ١٦-١٩) وأنزل عليه ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر : ٩) فعندئذ اطمأن الرسول ﷺ على القرآن وكان جبريل يعارض الرسول ﷺ القرآن في كل سنة وعارضه القرآن في سنته التي توفي فيها مرتين. وكان صلى الله عليه وسلم يعتني بكتابة القرآن الكريم فكان له كتبه يكتبون القرآن الكريم، يقول لهم ضعوا آية كذا في مكان كذا من السورة كذا، وكتب القرآن كله في حياته ﷺ في الرقاع واللخاف بإقراره ﷺ. ومما يدل على عناية المسلمين بالقرآن الكريم أنه حفظه منهم في عهد النبي ﷺ عدد لا بأس به، ثم تتابع الحفظ بعد ذلك حتى قيل إنه قتل يوم بئر معونة سبعون من القراء .

ومن مظاهر العناية به أنه لما استحرّ القتل في الحفظة عمد أبو بكر إلى جمعه في مكان واحد في الصحف، واحتاط لذلك الجمع، حيث ألف نخبة من

الحفظة، على رأسهم زيد بن ثابت الذي كان كاتب الوحي في حياة النبي ﷺ وقد كان أمير المؤمنين أبو بكر الصديق موقفاً في هذا الجمع، ثم بعد هذا الجمع ظلت الصحف عند أمير المؤمنين أبي بكر في خلافته ثم بعد وفاته انتقلت إلى أمير المؤمنين عمر ؓ ثم بعد وفاته كانت عند حفصة رضي الله عنها حتى كانت خلافة أمير المؤمنين عثمان ؓ فحصل في زمن عثمان اختلاف بين القراء في الأمصار، فكان من توفيق الله أن جمع أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؓ الصحابة، وعرض عليهم اختلاف القراء في الأمصار وفي المدينة، وكان رأيه أن يجمع القرآن في مصحف واحد، فوافقه الصحابة بالإجماع على ذلك، فأرسل إلى حفصة وأخذ منها الصحف، وجمع القرآن في مصحف واحد ووزعه على الأمصار، فكان بذلك موقفاً حيث أدرك الناس قبل أن يختلفوا. ومن مظاهر العناية بالقرآن الكريم عند المسلمين، أنهم حرروا القراءات وفرقوا بين المتواتر والشاذ، وجعلوا قواعد لا يثبت القرآن إلا بها وهي:

أولاً: - الإسناد المتصل للقراءة في كل طبقة.

ثانياً: - موافقة القراءة لوجه نحوي.

ثالثاً: - أن يحتملها الرسم العثماني.

وكل قراءة لا تتوفر فيها هذه الشروط، فاعتبرها العلماء شاذة لا تسمى

قرآناً، ولا تجوز القراءة بها^(١).

فكل ما وافق وجه نحوي وكان للرسم احتمالاً يحوي
وصح إسناداً هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان

(١) طيبة النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٧/١.

وحيث ما يَحْتَلُّ ركن أثبت شدوذه لو أنه في السبعة

ومن مظاهر العناية بالقرآن الكريم عند هذه الأمة، أنه لا بد فيه من التلقي مشافهة، تلقاه النبي ﷺ من جبريل عليه السلام شفاهاً، وتلقاه الصحابة الأتبات العدول من النبي ﷺ ثم تلقاه التابعون الأختيار من الصحابة، كذلك، ثم تلقاه أتباع التابعين من التابعين كذلك، إلى أن وصل إلينا غضا طريا كما أنزل، فالقراءة سنة متبعة لا مدخل للقياس فيها، والاعتماد فيها على التلقي والتواتر.

وقد اعتنى المسلمون بالقرآن عناية فائقة، حيث ألفوا في كل جزء منه، فرقوا بين مكيه، ومدنيه. وعرفوا مكيه بأنه منازل قبل الهجرة، كما عرفوا المدني بأنه ما نزل بعد الهجرة، هذا التعريف المختار، ومع تعريف المكى والمدني، فقد جمعوا المكى، وميزوه دون المدني وكل ذلك عناية بالقرآن الكريم.

كما اعتنوا بسور القرآن الكريم وآياته، وذكروا أن ترتيب الآيات توقيفي، من النبي ﷺ كما هو الآن، وأما ترتيب السور ففيه خلاف بينهم^(١)، كما ألفوا في أسماء السور، وعدد الآيات ومن هذه العناية الدقيقة اعتناؤهم برسمه الذي رسم به في زمن النبي ﷺ وإقراره، وأجمع عليه الصحابة بعد ذلك في زمن عثمان، وذهب الكثير من العلماء إلى أن رسم القرآن توقيفي لا تجوز مخالفته، حتى إن بعضهم كان يرى أن تكتب الكتابات الأخرى كما كتب القرآن على رسمه وعلى نمطه. وخلاصة القول أن العلماء لم يتركوا شيئاً يتعلق

(١) تناسق الدرر في تناسب السور ٥٦/١.

بالبقرآن الكريم إلا وكتبوا فيه مثل ناسخه ومنسوخه، وأقسامه، ومطلقه
ومجمله، ولما كان هذا البحث الذي كلفنا بالكتابة فيه، تحت عنوان ((نزول
القرآن)) اخترنا الكتابة فيما له صلة وثيقة بالنزول.

التعريف بالقرآن الكريم وأنه المعجزة العظمى للنبي صلى الله عليه وسلم

التعريف بالقرآن الكريم وأنه المعجزة العظمى للنبي ﷺ وقد تحدى القرآن بأساليب متنوعة، وكونه معجزاً بألفاظه ومعانيه، وأن الناس لم يُصرفوا عنه، والردّ على من قال بالصرفة.

اعلم أن تعريف القرآن الكريم : هو كلام الله المتّزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته، وقد عرفه صاحب المراقي في ألفيته بقوله^(١).

لفظ متزل على محمد لأجل الاعجاز وللتعبد^(٢)

ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن، وعلى كل آية من آياته^(٣) فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن صح أن تقول إنه يقرأ القرآن ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾ (الأعراف : ٢٠٤)

والقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لنبينا محمد ﷺ إلى يوم القيامة لأن المعجزات على ضربين الأول ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبي ﷺ.

والثاني: ماتواترت الأخبار بصحته وحصوله واستفاضت بثبوتها ووجوده ووقع لسامعها العلم بذلك ضرورة، ومن شرطه أن يكون الناقلون له خلقاً كثيراً وجمّاً غفيراً، وأن يكونوا عالمين بما نقلوه علماً ضرورياً، وأن يستوي في النقل أولهم وآخرهم ووسطهم في كثرة العدد، حتى يستحيل عليهم التواطؤ

(١) ٩٧/١، تحقيق د/ مختار محمد الأمين.

(٢) (القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر) شرح العقيدة الطحاوية (طبع مؤسسة الرسالة) ١٧٢/١ اللجنة العلمية.

(٣) مباحث في علوم القرآن ص ٢٠-٢١.

على الكذب، وهذه صفة نقل القرآن، ونقل وجود النبي ﷺ قال القرطبي^(١):
"لأن الأمة رضي الله عنها لم تزل تنقل القرآن خلفاً عن سلف والسلف عن
سلفه إلى أن يتصل ذلك بالنبي عليه الصلاة والسلام، المعلوم وجوده بالضرورة
وصدقه بالأدلة المعجزات، والرسول أخذه عن جبريل عليه السلام عن ربه عز
وجل، فنقل القرآن في الأصل رسولان معصومان من الزيادة والنقصان، ونقله
إلينا بعدهم أهل التواتر الذين لا يجوز عليهم الكذب فيما ينقلونه ويسمعونه
لكثرة العدد، ولذلك وقع لنا العلم الضروري بصدقهم فيما نقلوه من وجود
محمد ﷺ، ومن ظهور القرآن على يديه وتحديه به، فالقرآن معجزة نبينا ﷺ
الباقية بعده إلى يوم القيامة مع أن معجزة كل نبي انقضت بانقراضه أو دخلها
التبديل كالتوراة والإنجيل، فلما عجزت قريش عن الاتيان بمثله وقالت: إن
النبي ﷺ تقوله أنزل الله تحدياً لهم قوله ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقُولُهُ بَلْ لَإِيْمَانُونَ . فَلْيَأْتُوا
بِحَدِيثٍ مِثْلَهُ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (الطور : ٣٣-٣٤) ثم تحدّاهم وأنزل تعجيزاً أبلغ
من ذلك فقال ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مَفْتَرِيَاتٍ﴾ (هود:
١٣). فلما عجزوا حطهم عن هذا المقدار إلى مثل سورة من السور القصار
فقال جل ذكره ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ﴾ (البقرة : ٢٣). فأفحموا عن الجواب وتقطعت بهم الأسباب، وعدلوا إلى
الحروب والعناد وآثروا سبي الحرّيم والأولاد، ولو قدروا على المعارضة لكان
أهون كثيراً وأبلغ في الحجّة وأشدّ تأثيراً مع كونهم أرباب البلاغة وعنهم تؤخذ
الفصاحة.

واعلم أن القرآن نفسه هو المعجز بألفاظه ومعانيه لأن فصاحته وبلاغته
أمر خارق للعادة إذ لم يوجد كلام قط على هذا الوجه، وما قاله النظام ومن

(١) ج ١ ص ٧٢.

على شاكلته من أن وجه الإعجاز في القرآن هو أنهم منعوا منه وصرفوا عنه قول فاسد، لأن إجماع الأمة قبل حدوث المخالف أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا إن المنع والصرفة هو المعجز لخرج القرآن عن أن يكون معجزاً، وذلك خلاف الإجماع.

هذا وقد ذكر العلماء أوجهاً كثيرة للإعجاز نلخص منها ما يأتي

بإيجاز:-

١- النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب لأن، نظمه ليس من نظم الشعر في شيء وكذلك قال ربّ العزة الذي تولى نظمه ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾ (يس : ٦٩). وفي صحيح مسلم أن أنيساً أخوا أبي ذر قال لأبي ذر: لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله. قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون شاعر كاهن ساحرٌ وكان أنيس أحد الشعراء قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقرء الشعر^(١) فلم يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون^(٢).

٢- الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب.

٣- الجزالة التي لاتصح من مخلوق بحال، قال القرطبي^(٣): وتأمل ذلك في سورة ق والقرآن المجيد إلى آخرها وقوله سبحانه ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة

(١) أقرء الشعر: أنواعه وطرقه وبحوره وأنحأؤه.

(٢) مسلم رقم ٢٤٧٣، البخاري رقم ٣٥٢٢، أحمد رقم ٢١٠١٥.

(٣) البرهان ٢/٢١٨-٢٥١. الاتقان ٣/٤-٢٣، المحرر الوجيز ١/٣٨، النكت في إعجاز القرآن

(١)/١٠٤، ١٠٣.

والسماوات مطويات بيمينه ﴿ (الزمر: ٦٧) إلى آخر السورة، وكذا قوله ﴿ولاتحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ (إبراهيم : ٤٢) إلى آخر السورة قال ابن الحصار: فمن علم أن الله سبحانه وتعالى هو الحق علم أن مثل هذه الجزالة لا تصح في خطاب غيره، ولا يصح من أعظم ملوك الدنيا أن يقول ﴿لمن الملك اليوم﴾ (غافر : ١٦) ولا أن يقول ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ (الرعد : ١٣)

٤- التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي حتى يقع منهم الاتفاق من جميعهم على إصابته في وضع كل كلمة وحرف مَوْضَعَه.

٥- الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى وقت نزوله، من أمي ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه، مع أنه أخذ بما كان من قصص الأنبياء مع أممها، وذكر ما سأله أهل الكتاب عنه، وتحذوه به من قصة أهل الكهف، وشأن موسى والخضر عليهما السلام، وحال ذي القرنين.

٦- الوفاء بالوعد المدرك بالحس في العيان في كل ما وعد الله سبحانه، وينقسم إلى أخباره المطلقة كوعده بنصر رسوله عليه السلام، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه وإلى وعد مقيد بشرط كقوله ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ (الطلاق: ٣) وقوله ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ (التغابن: ١١)

٧- الإخبار عن المغيبات في المستقبل التي لا يطلع عليها إلا بالوحي فمن ذلك ما وعد الله نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ (التوبة: ٣٣) آية ففعل ذلك، وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أغزى جيوشه عرفهم ما

- وعدهم الله في إظهار دينه ليثقوا بالنصر، وليستيقنوا بالنجح، وكان عمر رضي الله عنه يفعل ذلك، فلم يزل الفتح يتوالى شرقاً وغرباً، براً وبحراً.
- ٨- ما تضمنه القرآن الكريم من العلم الذي هو قوام جميع الأنام في الحلال والحرام وسائر الأحكام.
- ٩- التناسب في جميع ماتضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف. قال تعالى ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ (النساء: ٨٢).
- ١٠- الحكم الكثيرة التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها وشرفها من آدمي.

التعريف بعلوم القرآن فناً مستقلاً ومتى ظهر هذا الاصطلاح

هو علم ذو مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من حيث نزوله وترتيبه وكتابه وجمعه وقراءاته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه إلى غير ذلك من المباحث التي تذكر في هذا العلم^(١)، وقد يسمى هذا العلم بأصول التفسير لأنه يتناول العلوم التي لا بد للمفسر منها^(٢).

وأول ظهور هذا المصطلح لعلوم القرآن فناً مستقلاً كان على يد الحوفي المتوفى ٤٣٠هـ في كتابه "البرهان في علوم القرآن"، ثم تبعه ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ في كتابه "فنون الأفنان في عجائب القرآن" ثم جاء بدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ بكتاب واف سماه "البرهان في علوم القرآن" ثم جاء البلقيني المتوفى سنة ٨٢٤هـ فألف كتابه "مواقع العلوم من مواقع النجوم" ثم جاء خاتمة الحفاظ وفارس الميدان جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ بكتابه "الإتقان في علوم القرآن"، وصار الناس بعده عيالاً عليه، كل يأخذ منه، والبعض يلخص والبعض يختصر.

وقد نشط التأليف في علوم القرآن في العصر الحديث مثل كتاب مصطفى صادق الرافعي في إعجاز القرآن، والنبأ العظيم للدكتور محمد عبدالله دراز، وكتاب الشيخ طاهر الجزائري (التيبان في علوم القرآن) وكتاب مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني وكتاب المدخل في

(١) المدخل ٢٥/١ ومابعدها.

(٢) مباحث في علوم القرآن ١٦/١.

علوم القرآن لشيخنا الشيخ الدكتور محمد محمد أبو شهبة رحمه الله وكتاب
مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان رحمه الله إلى غير ذلك من
التأليف الكثيرة في هذا العصر.

متى بدأ النزول وكم كانت مدة النزول

إن بحث نزول القرآن وتاريخ نزوله، لمن أهم المباحث إذ به تعرف تتزلات القرآن الكريم، ومتى نزل، وكيف نزل، وعلى من نزل وكيف كان يتلقاه جبريل من الله تبارك وتعالى؟ ولاشك أن العلم بذلك يتوقف على كمال الإيمان، بأن القرآن من عند الله، وأنه المعجزة العظمى للنبي ﷺ، كما أن كثيراً من المباحث التي تذكر في هذا الفن يتوقف على العلم بتزوله، فهو كالأصل بالنسبة لغيره.

أنزل الله القرآن الكريم على رسولنا محمد ﷺ لهداية البشر وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فكان نزوله حدثاً جليلاً مؤذناً بمكانة النبي ﷺ عند أهل السماء والأرض.

فإنزاله الأول في ليلة القدر نبه العالم العلوي على شرف هذه الأمة، وأنها القائدة التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس.

قال تعالى ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ (البقرة الآية ١٨٥) ، فقد مدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأنه اختاره من بينها لإنزال القرآن العظيم فيه، قال ابن كثير^(١): "وكما اختصه بذلك فقد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء".

(١) ٣٠٩/١.

قال الإمام أحمد بن حنبل^(١) رحمه الله حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبي المليح عن وائلة - يعني ابن الاسقع - أن رسول الله ﷺ قال: أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان.

وقد روى من حديث جابر بن عبد الله وفيه أن الزبور أنزل لثنتي عشرة خلت من رمضان والإنجيل لثماني عشرة والباقي كما تقدم رواه ابن مردويه^(٢).

أما الصحف والتوراة والزبور والإنجيل فتزل كل منها على النبي الذي أنزل عليه جملة واحدة وأما القرآن فكان نزوله الأول جملة واحدة إلى بيت العزة من سماء الدنيا، كما تدل عليه الآيات: ﴿شهر رمضان...﴾ (البقرة: ١٨٥) ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ (الدخان: ٣) .

أما تاريخ نزول القرآن منجماً وهو النزول الثاني، فقد كان بعد الأربعين من عمره ﷺ حينما بعث في يوم الاثنين وكان أول ما نزل عليه صدر سورة اقرأ كما ذكر ذلك محققو أهل العلم من أهل التفسير والحديث والسير، قال العلامة الفاسي في نظمه قرّة الأبصار في سيرة المشفّع المختار^(٣):

(١) أحمد ١٠٧/٤، الطبراني في الكبير ٧٥/٢٢، والبيهقي في شعب الإيمان: ٤١٤/٢.

(٢) ابن كثير ٢١٧/١، قال: رواه ابن مردويه.

(٣) مخطوطة، منظومة في السيرة ص ٣.

بيان مبعث النبي الهاد صلى عليه أشرف العباد
وجاءه جبريل في غار حرا من بعد أربعين عاما غربا
في يوم الاثنين بسورة العلق صلى عليه الله فالتق الفلق
فقام يدعو الإنس والجن إلى توحيد رب العالمين مرسلا
مؤيِّداً منه براً أعياء البشر إحصاءه من معجزات كالمطر
نفعاً وكثرةً وكالسراج نورا ورفعة مع ابتهاجى
ومع ذا حاصره الفجّار كما أتت بذلك الأخبار
وكان قادرا على التدمير لو شاء لكن جاد بالتأخير
حتى هدى الله به من شاء منهم ومن أصلابهم أبناء
ثم أعز دينه ونصره وأيد الحق به وأظهره

قال في الاتقان^(١):

"أما إنزاله الثاني مفرقاً على حسب الوقائع خلافاً لما كان معهوداً عندهم في الكتب السابقة فقد أثار الضجة عند القوم حتى حملهم على المحادة والمساءلة حتى ظهر لهم الحق فيما بعد من أسرار الحكم الإلهية في إنزاله منجماً على حسب الوقائع حتى أكمل الله الدين".

هذا وقد يظن البعض أن الآيات من قوله ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ (البقرة: ١٨٥) الخ وقوله ﴿حم. والكتب المبين. إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين﴾ (الدخان: ١-٣) الخ وقوله ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ (القدر: ١). بينها تعارض والواقع أنه لاتعارض بينها، فالليلة المباركة هي ليلة

(١) ١١٦/١.

القدر من شهر رمضان، وإنما يتعارض ظاهرها مع الواقع العملي في حياة الرسول ﷺ لأن القرآن نزل عليه خلال ثلاث وعشرين سنة.

وقد روى من غير وجه عن ابن عباس كما قال إسرائيل عن السدي عن محمد بن أبي الجحادة عن مقسم عن ابن عباس أنه سأله عطية بن الأسود فقال وقع في قلبي الشك من قول الله تعالى ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ وقد أنزل في شوال وذي القعدة وفي ذي الحجة ومحرم، وصفر وشهر ربيع فقال ابن عباس وجهه العلماء: إن المراد بتزول القرآن في تلك الآيات الثلاث، نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا تعظيماً لشأنه عند الملائكة، ثم أنزل بعد ذلك منحماً على مواقع النجوم ترتيباً في الشهور والأيام في ثلاث وعشرين سنة، حسب الوقائع والأحداث منذ بعثه ﷺ إلى أن توفي حيث أقام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة بعد الهجرة عشر سنين وهذا المذهب هو الذي جاءت به الأخبار الصحيحة عن ابن عباس في عدة روايات منها: عن ابن عباس قال أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا^(١) ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة ثم قرأ ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ (الفرقان : ٣٣). وقوله ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ (الإسراء : ١٠٦).

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل يتزل به على النبي ﷺ.

(١) رواه الحاكم في المستدرک ٢٤٢/٢ رقم ٢٨٧٨، البيهقي ٣٠٦/٤.

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل الله القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا وكان بمواقع النجوم وكان الله يتزله على رسوله ﷺ بعضه إثر بعض. رواه الحاكم والبيهقي^(١).

٤- وعنه ﷺ قال أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم أنزل نجوماً "رواه الطبراني".

٢- المذهب الثاني هو المروي عن الشعبي أن المراد بتزول القرآن في الآيات الثلاث ابتداء نزوله على رسول الله ﷺ، فقد ابتداء نزوله في ليلة القدر من شهر رمضان وهي الليلة المباركة، ثم تتابع نزوله بعد ذلك مندرجاً مع الوقائع والأحداث في قرابة ثلاث وعشرين سنة.

قال: فليس للقرآن إلا نزول واحد هو نزوله منجماً على رسول الله ﷺ لأن هذا هو الذي جاء به القرآن قال تعالى ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ (الاسراء: ١٠٦)، ولهذا جادل فيه المشركون لكون الكتب السماوية نقل إليهم نزولها جملة واحدة قال تعالى ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً. ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ (الفرقان: ٣٢-٣٣).

قال: ولا يظهر للبشرية مزية لشهر رمضان وليلة القدر التي هي الليلة المباركة إلا إذا كان المراد بالآيات الثلاث نزول القرآن على رسول الله ﷺ وهذا يوافق ما جاء في قوله تعالى في غزوة بدر ﴿وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير﴾ (الأنفال: ٤١). وقد

(١) رواه الحاكم في المستدرک ٢/٢٤١ وصححه ووافقه الذهبي وابن الملقن وصححه أيضاً الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/٦٢٠ ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٣/١٣١.

كانت غزوة بدر في رمضان، ويؤيد هذا ما عليه المحققون في حديث بدء الوحي.

عن عائشة قالت "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح"^(١) فالحققون على أن رسول الله ﷺ نبي أولاً بالرؤيا في الشهر الذي ولد فيه وهو شهر ربيع الأول، وكانت المدة بين الرؤيا والوحي إليه يقظة ستة أشهر ثم أوحى إليه يقظة بـ﴿اقرأ﴾.

قال الشيخ مناع القطان رحمه الله^(٢) "وبهذا تتآزر النصوص على معنى واحد".
٣- المذهب الثالث يرى أن القرآن أنزل إلى السماء الدنيا في ثلاث وعشرين ليلة قدر في كل ليلة منها ما يقدر الله إنزاله في كل السنة، وهذا القدر الذي يتزل في ليلة القدر إلى السماء الدنيا لسنة كاملة يتزل بعد ذلك منجماً على رسول ﷺ في جميع السنة.

ولاشك أن هذا المذهب اجتهاد من بعض المفسرين فليس هناك ما يدل عليه، أما المذهب الثاني فإنه لاتعارض بينه وبين المذهب الأول الذي هو مذهب ابن عباس والجمهور.

فالراجح أن القرآن الكريم له تتزلان، كما علمت:

الأول:- نزوله إلى بيت العزة من سماء الدنيا جملة.

(١) رواه البخاري رقم ٢ كتاب بدء الوحي ومسلم كتاب الإيمان ١٦٠.

(٢) مباحث في علوم القرآن ص ١٠٠ في بعدها.

وقد نقل القرطبي^(١) الإجماع على هذا النزول عن مقاتل بن حيان وممن
قال بقوله الخليمي والماوردي^(٢). الثاني نزوله من السماء الدنيا مفرقا على
مدى ثلاث وعشرين سنة.

(١) ٢٩٧/٢.

(٢) الاتقان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص ١١٦.

الحكمة في إنزال القرآن جملة إلى السماء

١- تفخيم أمره وأمر من نزل عليه، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المتزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم. قال السيوطي: نقلاً عن أبي شامة في المرشد الوجيز " لولا أن الحكمة الألهية اقتضت وصوله إليهم منجماً بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المتزلة قبله، ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين: إنزاله جملة ثم إنزاله مفرقاً تشریفاً للمترل عليه"^(١).

٢ - وقال السخاوي في جمال القراء: " نزوله إلى السماء الدنيا جملة تكريم لبني آدم وتعظيم لشأنهم عند الملائكة، وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم ".

والقرآن بالاستقراء كان يتزل حسب الحاجة خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل، وصح نزول عشر آيات في قصة الإفك جملة. ونزول عشر آيات من أول سورة المؤمنون جملة، كما صح نزول ﴿غير أولى الضرر﴾ وحدها وهي بعض آية وكذا قوله ﴿وإن خفتن عيلة﴾ إلى آخر الآيات.

(١) الاتقان في علوم القرآن ١١٦/١ وما بعدها، مباحث في علوم القرآن، ص ١٠٠ فما بعدها، المدخل في علوم القرآن ص ٥٨، فما بعدها.

ويوضح ذلك ما أخرجه البخاري^(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لاتشربوا الخمر لقالوا لاندع الخمر أبدا، ولو نزل "لاتزنوا" لقالوا لاندع الزنى أبدا.

اعلم أن القرآن الكريم له وجودات ثلاثة:-

١ - وجوده في اللوح المحفوظ.

٢ - وجوده في السماء الدنيا.

٣ - وجوده في الأرض.

بتزوله على النبي ﷺ، ولم يقترب التزول إلا بالوجود الثاني والثالث وقد دل القرآن الكريم أنه كان قبل نزوله في اللوح المحفوظ حيث يقول الله تعالى ﴿بل هو قرآن مجيد. في لوح محفوظ﴾ (البروج : ٢١-٢٢).

وهذا اللوح المحفوظ هو الكتاب المكنون الذي قال الله عنه ﴿إنه لقرآن كريم. في كتاب مكنون. لا يمسه إلا المطهرون. تنزيل من رب العالمين﴾ (الواقعة: ٧٧-٨٠) والذي عليه جمهور المفسرين أن الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ، واللوح المحفوظ هو السجل العام الذي كتب الله فيه في الأزل كل ما كان وكل ما يكون، والواجب علينا أن نؤمن به وأنه موجود ثابت، أما البحث فيما وراء ذلك فلسنا مطالبين به.

أما كيف كان جبريل يتلقى الوحي، فلا يركن إلى شيء مما قيل في ذلك إلا ما أوماً له الدليل، وأولى قول في هذا المجال هو ما ذكره البيهقي في

(١) رقم ٤٩٩٣ في كتاب الفضائل.

تفسير قوله تعالى ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ قال: يريد والله أعلم "إنا أسمعنا الملك وأفهمناه إياه وأنزلناه بما سمع، وهذا القول يشهد له مارواه الطبراني من حديث النواس بن سمعان" مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: "إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله فإذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخروا سجداً، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله بوحيه بما أراد فينتهي به حيث أمر" والحديث وإن لم يكن نصاً في القرآن إلا أن الوحي يشمل وحي القرآن وغيره^(١).

أما قول من قال إن جبريل أخذ القرآن من الكتاب، لم يسمعه من الله، فهذا قول باطل كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) وقد أخبر تعالى بأنه منزل منه قال تعالى ﴿والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق﴾ (الأنعام : ١١٤) وقال تعالى ﴿حم. تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ (فصلت : ٢-١). وقال تعالى ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ (الأحقاف: ٢-١). فجبريل رسول الله من الملائكة جاء به إلى رسول الله ﷺ من البشر والله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس. وكلاهما مبلغ له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣): "وهو مع هذا كلام الله ليس لجبريل ولا لمحمد فيه إلا التبليغ والأداء كما أن المعلمين له في هذا الزمان والتالين له في الصلاة أو خارج الصلاة ليس لهم فيه إلا ذلك لم يحدثوا شيئاً من حروفه ولا معانيه".

(١) المدخل ٢٥٥/١، الاتفاق ٤٥/١، مباحث في علوم القرآن ج ١، ص ١٠٥ وما بعدها.

(٢) الفتاوى ١٢٧/١٢ فما بعدها.

(٣) الفتاوى ٢٦٠/١٢.

قال الإمام السيوطي^(١) قال الجويني: كلام الله المتزل قسمان:

أ - قسم قال الله لجبريل قل للنبي ﷺ - الذي أنت مرسل إليه إن الله يقول افعل كذا وكذا، ففهم جبريل ما قاله ربه، ثم نزل على ذلك النبي ﷺ وقال له ما قاله ربه ولم تكن العبارة تلك العبارة، كما يقول الملك لمن يثق به: قل لفلان يقول لك الملك اجتهد في الخدمة واجمع جندك للقتال. فإن قال الرسول بقول الملك لا تتهاون في خدمته ولا تترك الجند تتفرق وحثهم على المقاتلة لا ينسب إلى كذب ولا تقصير في أداء الرسالة.

ب - قسم آخر قال الله لجبريل اقرأ على النبي هذا الكتاب فترل جبريل بكلمة من الله من غير تغيير كما يكتب الملك كتابا ويسلمه إلى أمين ويقول له اقرأه على فلان فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفاً.

قال السيوطي: القرآن هو القسم الثاني، والقسم الأول هو السنة، وقد ورد أن جبريل كان يتزل بالسنة كما يتزل بالقرآن قال: ولهذا جازت رواية السنة بالمعنى بخلاف القرآن الكريم فإنه نزل جبريل بألفاظه ومعانيه فلا تجوز روايته بالمعنى. والسر في ذلك أن القرآن يقصد التعبد بألفاظه وهو كذلك معجز فلا يمكن لأحد مَهَمًا أوتي من البلاغة والفصاحة أن يأتي بلفظ يقوم مقامه.

كما أن فيه تخفيفاً على الأمة حيث جعل المتزل إليهم على قسمين قسم يروونه بلفظه الموحى به وقسم يروونه بالمعنى، ولو جعل كله مما يروي باللفظ، لشق، أو بالمعنى لم يؤمن التبديل. قال صاحب المدخل^(٢): "وكذلك

(١) الاتقان ١/١٢٨.

(٢) الدكتور محمد محمد أبو شهبة رحمه الله ١/٦٢.

ليس للنبي ﷺ في القرآن شيء إلا مجرد التبليغ فقط وهذا هو الحق الذي يجب على كل مسلم أن يعتقد ويؤمن به .

قال: ولا يلتفت إلى ما زعمه بعض من يهرف بما لا يعرف، أو من يفترى ويختلق من أن جبريل أوحى إليه المعنى، وأنه عبّر بهذه الألفاظ الدالة على المعاني بلغة العرب، ثم نزل على النبي ﷺ كذلك أو أن جبريل أوحى إلى النبي ﷺ المعنى أن النبي ﷺ عبّر عن هذه المعاني بلفظ من عنده فهذا القول زعم وخرص لم تقم عليه أثارة من علم.

وهو خلاف ما تواتر عليه القرآن والسنة، وانعقد عليه إجماع الأمة من أن القرآن لفظه ومعناه كلام الله ومن عند الله منه بدأ وإليه يعود.

إلى أن قال: وهذا الزعم لا يقول به إلا جاهل استولى الجهل والغفلة عليه أو زنديق قد يدس في الدين والعلم ما ليس منه.

ولا يغتر بوجوده في بعض الكتب الإسلامية، فأغلب الظن أنه مَدسوسٌ على الإسلام والمسلمين هذا وقد بلغ النبي ﷺ القرآن الكريم من غير تحريف ولا تبديل ولا تغيير لشيء منه ولا كتمان له، ولو كان كاتماً شيئاً [حاشاه من ذلك] لكتّم تبليغ الآيات التي عوتب فيها ويكفي أن تقرأ قول الحق تبارك وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (المائدة، : ٦٧). وقوله ﴿وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدَلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ (يونس : ١٥). وقوله ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ

باليمن. ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴿الحاقة : ٤٤ -

(٤٧)

كيف كان يتلقى النبي ﷺ الوحي من جبريل

- ١- أحيانا يأتي جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في صفة رجل من البشر وكان كثيراً ما يأتي في صورة دحية الكلبي.
- ٢- وأحيانا يأتي ولا يراه الحاضرون، وقد يسمعون له دويًا وصلصلة كصلصلة الجرس.

ودل على هاتين الحالتين من الوحي ما رواه البخاري في صحيحه^(١) بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله تعالى عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي؟ فقال: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيقصم عني وقد وعيت منه ما قال: وأحيانا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول... الخ هذا والقرآن الكريم لم ينزل منه شيء إلا عن طريق جبريل عليه السلام ولم يأت منه شيء عن تكليم أو إلهام أو منام، بل كله أوحى به في اليقظة وحيًا جلياً^(٢).

(١) البخاري رقم ٢ كتاب بدء الوحي، ومسلم رقم ٢٣٣٣.

(٢) المدخل ٥٨/١.

نزول القرآن مفرقاً - منجماً -

قال تعالى ﴿وانه لتنزِيل رَبِّ العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين﴾ (الشعراء : ١٩٢-١٩٥). وقال تعالى ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين ءامنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾ (النحل : ١٠٢). ويقول تعالى ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين﴾ (الحاثية ١-٣). وقال تعالى ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾ (البقرة : ٢٣). وقال تعالى ﴿قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين﴾ (البقرة : ٩٧). فهذه الآيات ناطقة بأن القرآن الكريم كلام الله بألفاظه العربية وأن جبريل نزل به على قلب رسول الله ﷺ وأن هذا النزول غير النزول الأول إلى السماء الدنيا فالمراد به نزوله منجماً، ويدل التعبير بلفظ التنزيل دون الإنزال على أن المقصود النزول على سبيل التدرج والتنجيم فإن علماء اللغة يفرقون بين الإنزال والتنزيل فالتنزيل لما نزل مفرقاً، والإنزال أعم^(١).

فقد نزل القرآن الكريم على مدى ثلاث وعشرين سنة ثلاث عشرة بمكة على القول الراجح، وعشر بالمدينة المنورة.

من الأدلة على نزول القرآن مفرقاً قوله تعالى ﴿وقرآنأ فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً﴾ (الإسراء : ١٠٦). والمعنى : جعلنا نزوله

(١) المفردات للراغب ٧٩٩، مباحث في علوم القرآن ١/١٠٠.